

تفسير البحر المحيط

@ 149 @ والأرزاق . وقال عطاء : ما غاب من الثواب والعقاب وما تصير إليه الأمور . وقال الزجاج : الوصلة إلى علم الغيب إذا استعلم . وقيل : عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال . وقيل : ما لم يكن هل يكون أم لا يكون ؟ وما يكون كيف يكون وما لا يكون إن كان كيف يكون ؟ و { لَا يَعْزِمُهَا إِلَّا هُوَ } حصر أنه لا يعلم تلك المفاتيح ولا يطلع عليها غيره تعالى ، ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب . وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الفرية والله تعالى يقول : { قُلْ لَا يَعْزِمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ } وقد كثرت هذه الدعاوي والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم : % (فارتموا يدعون أمراً عظيماً . لم يكن للخليل لا والكليم .) % (بينما المرء منهم في انسفال . أبصر اللوح ما به من رقوم .) % (فجنى العلم منه غصاً طرياً . ودرى ما يكون قبل الهجوم .) % (إن عقلي لفي عقال إذا ما % . أنا صدقت بافتراء عظيم .) % .

{ وَيَعْزِمُ مَا فِي الْبَيْرِ وَالْبَيْحَرِ } لما كان ذكره تعالى { مَفَاتِيحُ } { الْغَيْبِ } أمراً معقولاً أخبر تعالى باستنثاره بعلمه واختصاصه به ذكر تعلق علمه بهذا المحسوس على سبيل العموم ثم ذكر علمه بالورقة والحبة والرطب واليابس على سبيل الخصوص ، فتحصل إخباره تعالى بأنه عالم بالكلية والجزئيات مستأثر بعلمه وما نعلمه نحن وقدم البر لكثرة مشاهدتنا لما اشتمل عليه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والحيوان والنبات والمعادن أو على سبيل الترقى إلى ما هو أعجب في الجملة ، لأن ما فيه من أجناس الحيوانات أعجب وطوله وعرضه أعظم والبر مقابل البحر . وقيل : { الْبَيْرِ } القفار {

وَالدَّبْحَرُ { المعروف فالمعنى ويعلم ما في البر من نبات ودواب وأحجار وأمدار وغير ذلك ، وما في البحر من حيوان وجواهر وغير ذلك . وقال مجاهد : { الدبْحَرُ } الأرض القفار التي لا يكون فيها الماء { وَالدَّبْحَرُ } كل قرية وموضع فيه الماء . وقيل : لم يرد ظاهر البر والبحر وإنما أراد أن علمه تعالى محيط بنا وبما أعد لمصالحنا من منافعهما وخصا بالذكر لأنهما أعظم مخلوق يجاوزنا . .

{ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْعُ لَهُمَا } { مِنْ } زائدة لاستغراق جنس الورقة و { يَدْعُ لَهُمَا } مطلقاً قبل السقوط ومعه وبعده . قال الزجاج : { يَدْعُ لَهُمَا } ساقطة وثابتة كما تقول : ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه ليس تأويله في حال مجيئه فقط . وقيل : يعلم متى تسقط وأين تسقط وكم تدور في الهواء . وقيل : يعلمها كيف انقلبت ظهراً لبطن إلى أن وقعت على الأرض ، { يَدْعُ لَهُمَا } في موضع الحال من { وَرَقَةٍ } وهي حال من النكرة . كما تقول : ما جاء أحد إلا راكباً . .

{ وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ } قيل : تحت الأرض السابعة . وقيل : تحت التراب . وقيل : الحب الذي يزرع يخفيها الزرع تحت الأرض . وقيل : تحت الصخرة في أسفل الأرضين . وقيل : ولا حبة إلا يعلم متى تنبت ؟ ومن يأكلها ؟ ، وانظر إلى حسن ترتيب هذه